الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات برّ الوالدين
(دراسة تطبيقية)

د. ولاء بنت عبد الرحمن بن محمد البرادعي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى

الملخص

يتناول هذا البحث عرضاً واضحاً ومنهاجاً بيناً عن: "الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين"

دراسة تطبيقية لبعض آيات القرآن الكريم، وهو يتناول البرّ والإحسان للوالدين سواء أكانا مسلمين أم غير مسلمين، وبيان أثر تدبر القرآن الكريم في إبراز هذه الهدايات.

ويهدف البحث إلى بيان كيفية استنباط الهدايات من خلال القراءات المتواترة، وكيفية ربط ذلك بالمعنى التفسيري للآية، كما يهدف إلى المعاني المستفادة من مفهوم علم الهدايات والقراءات القرآنية، ومفهوم البرّ في القرآن الكريم.

وهو يتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة، بينتُ في المطلب الأول ما يتعلق بمفردات العنوان لغةً واصطلاحًا، وبينتُ في المطلب الثاني والثالث: الهدايات القرآنية في الآيات التي تتعلق ببر الوالدين مسلمين كانا أو غير مسلمين، والإحسان إليهما، كما بينتُ القراءات الواردة فيها، وما يتعلق بها من معانٍ متعددة، وهدايات متنوعة؛ والتي تؤكد لنا أنّ تعدد القراءات في الكلمة الواحدة يثري المعنى، ويعمق فهم الآية، ويعطي دلالات واضحة على أن القرآن الكريم بتعدد آياته في الموضوع الواحد وتنوع قراءاته يستوعب كل أنواع البرّ بين الناس جميعا.

ولقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي التحليلي في فهم النصوص وتوظيفها.

ومن النتائج التي توصلت إليها.

- أن الباحث في الهدايات القرآنية التي لها علاقة بالقراءات المتواترة أو الشاذة ينبغي عليه أن يحيط بوجوه القراءات المختلفة، وأن يمعن نظره في دلالة كل قراءة؛ لأن الهدايات لا تكتمل إلا بمعرفة أوجه القراءات.

- وأن البرّ بالوالدين من محاسن الدين، فالإسلام دين البرّ والرحمة والإحسان، فهو يأمر بالصلة وينهي عن القطيعة مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متآلفة متراحمة.

وسأحاول في ثنايا البحث أن أبرز هذه الأهداف وتلك النتائج.

الكلمات الافتتاحية:

الهدايات- القراءات- البر – الإحسان.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

إنّ الإسلام هو دين الرحمة والإحسان للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:٢٠]، وفيه الخير للعالمين: للمؤمنين به، ولغير المسلمين، ويدرك ذلك كل ذي عين بصيرة، ولا يجحد فضله إلا من جهل حقيقته أو كان من المستكبرين قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وإنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨] أي طريقاً ومسلكاً واضحاً بيناً.

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عيه وسلم بالقرآن الكريم ليرسم لنا الطريق، أرسله أسوة حسنة وأمرنا أن نتبعه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨].

فالقرآن الكريم هو النور المبدد لظلمات الحياة، والهدى العاصم من كل ضلال، والروح الذي تحيي به النفوس الحياة الطيبة، والشفاء الكامل لكل ما تعانيه الأمة من أمراض، وقد أمرنا الله عز وجل أن نقول الحسنى لكل الناس دون تفريق قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، كما أن الله لم ينهنا عن بر غير المسلمين وصلتهم وما إلى ذلك من أشكال القسط إليهم قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفهم القرآني في سنته الشريفة، فكان صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي على الأرض وكان دائماً خلقه القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم([1]).

فلما رأينا في عصرنا الحاضر وجود الحاجة الماسة للناس في بيان ما يترتب على كشف وبيان معاني القرآن الكريم والتعريف بالهدايات القرآنية الواردة فيها ظهرت لي هذه الفكرة البحثية والتي هي بعنوان الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين".

هذا وأسأل الله النفع والقبول إنه خير مسؤول وأعظم مأمول.

أولاً: موضوع البحث

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مؤيداً بالقرآن الكريم ليرسم لنا الطريق، أرسله أسوة حسنة، وأمرنا أن نتبعه قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالبحث يقدم منهاجاً بيناً عن الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين"، وتطبيق ذلك على نماذج من آيات القرآن الكريم، وما تضمنته الآية من المعنى الإجمالي والهداية المستنبطة منها ومن أوجه القراءات الواردة فيها.

ثانياً: أهمية البحث وأسباب اختياره:

يعتبر موضوع الهدايات من المواضع الجديرة بالبحث والدراسة؛ حيث إنه يتعلق بكلام الله تبارك وتعالى الذي هو من أشرف العلوم وأفضلها قاطبة، قال صلى الله عليه

([1]) صحيح، أخرجه أحمد في مسنده (٦/٩٠)، والبيهقي في الشعب (٢/١٥)، والسيوطي في الصغير (١/٢١٧)، وإسناده صحيح.

وسلم: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))،() كما أنه يخدم جانباً مهماً من أهم موضوعات الدراسات القرآنية الواردة في مجال البر.

ثالثاً: منهج البحث:

اتبعت في كتابه هذا البحث المتواضع المنهج الاستقرائي؛ حيث تمّ جمع الآيات القُرآنيّة والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع البحث: "الهدايات القُرآنيَّة الواردة في مجال البر"، ثمّ المنهج الاستنباطي في فهم النصوص وتوظيفها؛ وهو المنهج المناسب لمثل هذا النوع من الدراسة، وكذلك المنهج التحليلي حيث بيان وتحليل هذه الهدايات بما يقرب المعنى المراد بيانه لفهم القارئ.

سادساً: الدراسات السابقة:

وقفتُ على دراسات متنوعة وكتب مؤلفة عن الهدايات القرآنية، إلا أنني لم أجد بحثاً تناول موضوع الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين؛ سوى بعض البحوث والمقالات شبه المتعلقة بالموضوع، وهي عبارة عن مواضيع عامة تتناول بر الوالدين في الإسلام وصلة الرحم بشكل عام ونحو ذلك.

سابعاً: هيكل البحث

أمّا بالنسبة هيكل البحث فقسمته إلى ثلاثة مطالب، وخاتمة.

أمّا المقدمة: فتحدثت فيها عن موضوع البحث، وأهميته وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأمّا عنوان المطلب الأول فكان: مدخلاً تمهيديّاً للبحث، تحدثت فيه عن مفردات البحث.

() صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن (٢١) باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث: (٥٠٢٧).

أولاً: مفهوم الهدايات القرآنية.

ثانياً: مفهوم القراءات القرآنية.

ثالثاً: مفهوم البرّ.

وتحدثت في المطلب الثاني عن: الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين المسلمين.

وتناولت في المطلب الثالث: الهدايات القرآنية المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين غير المسلمين.

ثم جاءت الخاتمة، وبينت فيها أهم النتائج.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول

مدخل تمهيديّ للبحث، يتضمّن تحديد مفردات البحث

أولا: مفهوم الهدايات القرآنية.

تعريف الهدايات في اللغة:

يرجع أصل كلمة الهدايات في اللغة من "هدى" مصدر، ويتناول عدة معانٍ لغوية، وهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧].

وقيل الهدايات: جمع هداية، والهداية مصدر من الفعل: هدى من الهُدى، والهاء والدال والحرف المعتل يدلان على أصلين:

أحدهما: الرشاد والدلالة، وقد هداه هُدَى وهَدْياً وهداية، ويقال: هديت له الطريق هداية على معنى بينت له الطريق، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [السجدة:٢٦]. وقوله: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠].

وقيل معناه: الوصول أو الإرشاد إلى المطلوب، وقد يأتي بمعنى طريق، ويقال هديته إلى الطريق وللطريق على معنى أرشدته إليها، ويقال هديت له الطريق على معنى بينت له الطريق، فهو حقيقة في الطرق المحسوس، ومجاز في الطريق المعنوي، وضده الضلال، وهو الخروج عن الطريق، ومنه البعير الضال، والشاة الضالة، ورجل ضل عن الطريق إذا خرج عنه؛ لأنه التبس عليه الأمر و لم يكن له هاد يهديه وهو الدليل[1].

ويقول القرطبي: والهدى هديان: هدى الدلالة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢] فأثبت لهم أنّه الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة، وتفرد هو سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة:٥][2].

وقال العلماء: الهدى والهداية في اللغة شيء واحد[3]

ويقال: اهتديت من الاهتداء ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه:٨٢] أي: تاب من ذنبه، وآمن بربه، ثم اهتدى، أي: أقام على الإيمان.

ومن الباب قولهم: هديَ أمره: أي جهته، وما أحسن هديته، أي هديه، وجاء فلان يهادي بين اثنين، إذا كان يمشي بينهما معتمداً عليهما.

---

(1) مختار الصحاح (ص٣٢٥)، اللغة وصحاح العربية (٦٧٥/٢)، والمحكم والمحيط الأعظم، مادة هدى (٢١٧/٢)، وتفسير المنار (٤٩٦/٧)، ولسان العرب (٣٥٣/٥).

(2) الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١).

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٥١٩).

ثانيهما: الهدية: ما اهديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت أهدى إهداء، والمهدي: الطبق تهدي عليه[1].

ثانياً: تعريف الهدايات اصطلاحاً:

فقد عرفها الفريق البحثي في الدراسة التأصيلية للهدايات القرآنية فقالوا: هي الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع كل شر[2].

وعرفها ابن عاشور –رحمه الله– بأنها: الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة[3].

وقيل: هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب[4] فالهدى هو الرشاد، والدِّلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب،[5] وهداه إلى الطريق: إذا أعلمه أن الطريق في ناحية كذا، وهداه للطريق: إذا ذهب به إلى رأس الطريق، وهداه الطريق: إذا أدخله فيه وسار معه حتى بلغا المقصد[6] وكل ما يعبّر به عن الهداية من معانٍ في هذا الجانب موصلة إلى معنى الإرشاد[7] ولا يمكن الوصول إلى الهدى بغيرها.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (٣١/٦)، لسان العرب (٣٥٣/١٥).

(2) ينظر: الهدايات القرآنية، طه عابدين، وآخرين (ص٤٤).

(3) ينر: التحرير والتنوير (١٨٨/١).

(4) ينظر: التعريفات (ص:٢٥٦)، والتوقيف على مهمات التعاريف (ص:٣٤٣).

(5) تاج العروس (٢٨٢/٤٠)، تهذيب اللغة (١٨٥/١).

(6) الكليات (ص:٩٥٣).

(7) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٧٣/١).

ويقصد بالهدايات القرآنية في البحث: هو بيان ما جاء في آيات القرآن الكريم من معانٍ واضحة ظاهرة أو معانٍ عميقة.

وعرفت كذلك الهدايات القرآنية على أنها: الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر[1].

قال أبو الفداء –رحمه الله– "الهداية هي عند أهل الحق الدلالة على طريق من شأنه الإيصال، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل[2].

ثانياً: مفهوم القراءات.

القراءات لغةً: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل قرأ، وقرأت الشيء أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال ابن الأثير: كل شيءٍ جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد،[3] وقال الرازي: قرأ الكتابَ قراءة وقرآناً بالضم، وقرأ الشيء قرآناً بالضم أيضاً جمعه وضمه، وقوله تعالى:{**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**} (القيامة: ١٧) أي قراءته، وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى[4].

وأمّا تعريف القراءات اصطلاحاً فقد عرفها جماعة من الأئمة، ومن أبرز التعريفات ما يلي:

١-**تعريف أبي حيان الأندلسي فقد عرفها بأنها:** "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"[5].

---

(١) ينظر: الهدايات القرآنية، دراسة تأصيلية (١/٤٤).

(٢) ينظر: الكليات (٢/٥٧).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/٣٠).

(٤) مختار الصحاح (ص٢٢٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط (١/١٤).

٢-**تعريف بدر الدين الزركشي، قال:** "القرآن هو الوحي المنزل على محمد للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"(١).

٣-**تعريف ابن الجزري، قال:** "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"(٢).

٤-**تعريف عبد الفتاح القاضي، قال:** "علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه إلى ناقله"(٣)، فمنهم من يسمي نقله قراءة، ومنهم من يسمي نقله رواية، ومنهم من يسمي نقله طريقاً، ومنهم من يسمي نقله وجهاً(٤).

هذا، وقد أورد فضيلة الدكتور محمد بن عمر بازمول عدداً من تعاريف القراءات، وبعض الملاحظات التي مر ذكرها، ثم حاول هو أن يعرف القراءات تعريفاً يسلم مما لوحظ على تعريفات السابقين فعرف علم القراءات بثلاثة تعريفات فقال: "تعريف القراءات كعلم مدون هو:

-مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى، في الحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣١٨/١).

(٢) ينظر: منجد المقرئين (ص٣).

(٣) ينظر: البدور الزاهرة (ص٧).

(٤) ينظر: البدور الزاهرة (ص١٠).

-**أو**: مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله من جهة اللغة والإعراب، والحذف والإثبات والفصل والوصل، من حيث النقل.

-**أو**: مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله[1].

يلاحظ على التعريفين الأولين: اقتصارهما على مواضع الاختلاف، وأن التعريف الأول لم يصن عن الإسهاب؛ فقد فصل بعض أوجه الاختلاف ثم قال: وغير ذلك، فلم يكن لما فصله داع.

وفي التعريف الثاني: حصر أوجه الاختلاف في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل، وفي رأيي أن هذا التعريف غير جامع؛ لأن (أوجه) لا تنحصر فيما ذكره، فمنها المد والقصر، فإن قيل المد والقصر داخل في اللغة والإعراب، فكذلك الحذف والإثبات والفصل والوصل داخل في اللغة الإعراب، وأما التعريف الثالث فغير مانع من دخول علوم اللغة العربية كالنحو والصرف في تعريف علم القراءات، والتعريف المختار للقراءات من وجهة نظر الباحثة هو: علم يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن وكتابتها، ومواضع اتفاق نقلتها ومواضع اختلافهم، مع عزو ذلك إلى ناقله، وتمييز متواتره من آحاده وصحيحه مما لم يصح، مما روي على أنه قرآن.

ثالثا: مفهوم البر

معنى البر لغةً: الصدق والطاعة والخير والفضل، وبر يبر، إذا صلح، وبر في يمينه يبر، إذا صدقه ولم يحنث، وبر رحمه يبر إذا وصله.

ويقال: فلان يبر ربه ويتبرره، أي: يطيعه، ورجل بر بذي قرابته، وبار: من قوم بررة وأبرار.

---

(1) ينظر: القراءات وأثرها (١/١١٢).

والمصدر: البر، والبر: الصادق أو التقي وهو خلاف الفاجر.

والبر: ضد العقوق وبررت والدي بالكسر، أبره براً، وقد بر والده يبره، ويبره براً... وهو بر وبار وجمع البر الأبرار، وجمع البار البررة [1]

معنى البر اصطلاحاً:

قال المناوي: (البر بالكسر أي: التوسع في فعل الخير، والفعل المُرضي، الذي هو في تزكية النفس.... يقال: بر العبد ربه).

أي: توسع في طاعته.... وبر الوالد: التوسع في الإحسان إليه. وتحري محابه، وتوقي مكارهه، والرفق به، وضده: العقوق ويستعمل البر في الصدق، لكونه بعض الخير المتوسع فيه[2].

قال القاضي المهدي: والبر: هو الصلة، وإسداء المعروف والمبالغة في الإحسان [3].

المطلب الثاني

الهدايات المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين المسلمين

تمهيد:

لقد جاء التنويه بشأن برّ الوالدين في القران الكريم والتذكير بها في مواضع متعددة مما يدل على مكانتها وأهميتها، وجعل لها رعاية عظيمة وأولاها أهمية كبيرة؛ لأنها من أجل الحقوق وأعظمها بعد حق الله تعالى، ومن ضمن أجمل ما قال القرآن عن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

---

(1) ينظر: لسان العرب (٥١/٤) المصباح المنير (٤٣/١).

(2) التوفيق على مهمات التعاريف (ص١٢٢).

(3) ينظر: صيد الأفكار (٣٠٢/٢).

فبعد حق الله عز وجل حق الوالدين وهذا مطرد في القرآن، ففي سورة الأنعام: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: ١٥١]وفي سورة لقمان: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾[لقمان: ١٣-١٤] وهنا في سورة الإسراء.

فهي قضية منهجية مطردة تتحدث فيها الآية الكريمة عن أصل من أصول الشريعة، وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهما، ليس في حال اجتماعهما فقط، بل في حال اجتماعهما وافتراقهما على السواء.

أولاً: بيان القراءات في الآية الكريمة:

١-قرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) بألف مطولة بعد الغين، وكسر النون على التثنية.

٢-قرأ الباقون (يبلغن) بغير ألف، وفتح النون على التوحيد.

٣-قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (أف) بفتح الفاء من غير تنوين.

٤-قرأ نافع وحفص وأبو جعفر (أف) بكسر الفاء مع التنوين.

٥-قرأ الباقون (أف) بكسر الفاء من غير تنوين[1].

ثانياً: تفسير المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

تتحدث الآية الكريمة عن القاعدة الأساسية التي يتأصل منها التشريع: وهي: النهي عن عبادة غير الله، لأنّ ذلك هو أصل الإصلاح، ثم يتبعه بالأصل الثاني من أصول الشريعة، وهو: بر الوالدين، فأمر سبحانه بالإحسان إليهما وبخاصة إذا كبرا أو كبر

---

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٣٠).

أحدهما في كنفه، ومن ذلك البر ألّا يقول أو يفعل ما يظهر ضجره منهما، وأن يكون في غاية الأدب في القول والفعل تجاههما.

قوله: وقضى ربك: تأتي القضاء في اللغة والشرع بعدة معان فمعنى (وقضينا) التي سبقت هذه: أعلمنا، ومعنى (وقضى) هنا: ألزمنا وأوجبنا، ويأتي القضاء بمعنى القدر، ويأتي القضاء بمعنى الحكم والفصل بين متنازعين، ومعان أخرى، لكن المعنى المناسب كما أسلفنا هو: أوجبنا وألزمنا، وفرضنا.

قال الشيخ السعدي:() وقضى قضاءً دينياً، وأمر أمراً شرعياً أ.ه.

قوله "ربك": واضح أن الأنسب هنا هو لفظ الربوبية المفيد معنى التنزيه والإيجاد.

قوله: "ألا نعبد إلا إياه": ما قضاه الله هو ألا يعبد المكلفون إلا هو سبحانه، ومفهوم العبادة شامل مطلق لكل أنواع التعبد، سواء بالشعائر التعبدية من صلاة ودعاء وتقديم هدي وحج ونذر إلى غير ذلك، وكل عمل يتوجه إليه وقوله: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (الإسراء: ٢٣) فتبدو في جو التعبير ظلال التوكيد والتشديد.

يقول الصابوني: {وقضى ربك..... إياه} أي: حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره.

وقال مجاهد: (وقضى) يعني وصى بعبادته وتوحيده {وبالوالدين إحساناً} أي: وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، قال المفسرون: قرن تعالى بعبادته بر الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد، لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة، وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك {إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما} أي: قد أوصيناك بهما وبخاصة إذا كبر أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر؛ لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى: "عندك" دلّ

() ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/٩١٠).

على الكبر... ليدل بالإشارة اللطيفة أنهما أو أحدهما يجب أن يكونا أو يكون (عندك): أي في كنفك وكفالتك {فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ} أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة يظهر الضجر ككلمة "أف" ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف، "ولا تنهرهما" أي: لا تزجرهما فيما لا يعجبك منهما، "وقل لهما قولاً كريما" أي: قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدب ووقار وتعظيم.(١) ومعاملة الأبناء للوالدين[٢] في هذه الأيام تنم عن بعد عن كتاب الله تعالى وتقصير في فهم أوامره وهداياته، فحري بالأمة أن تعود إلى كتاب ربها – عزوجل– وإلى هدى نبيها محمد صلى الله عليه وسلم كي يتحقق المجتمع الفاضل، وتسود روح الألفة والمودة ويعود الناس إخواناً متحابين (٢).

قال السعدي في التيسير: وبالوالدين إحساناً: أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، فلا تقل لهما أف: وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه أ.هـ(٣) (فلا تقل لهما أف) أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة "أف" ولا تسمعها قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف، نهى بعد الفاء الواقعة في جواب الشرط المستفاد من (إن) المتضمنة في (إن ما) وهذا النهي عن أبسط ما يمكن أن يكدر خاطر الوالدين ويعكر صفو نفسيتهما، وهو كلمة "أف" وهي أقل ما يتصور من اللغة في تصوير معنى الضجر والتعبير الضيق والسخط.

ومن محاسن تعاليم الإسلام أنه يحرص كل الحرص عن حسن العلاقات، وخاصة بالقرابة اللصيقة بالإنسان والأوجب للإحسان وهما الوالدان (ولا تنهرهما) أي: لا تزجرهما بإغلاظ فيما لا يعجبك منهما (وقل لهما قولاً كريما) أي: قل لهما قولاً حسناً طيباً بأدب

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير (١٣٩/٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٦٩/١٥-٧٠).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٩١٠/٤-٩١١)، بتصرف يسير.

ووقار وتعظيم[1] وقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان: ١٥]وحث النبي صلى الله عيه وسلم على ذلك؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك؟ قال: ثم من. قال: ثم أمك، قال: ثم من، قال: ثم أبوك)[2] .

وصاحب البر يتعدى برد الوالدين والأبناء إلى الأرحام والأقارب، ولأن الوفاء والإحسان أصيل فيه فإنه يتميز به مع جميع الناس الذين يتعامل معهم، وفي مقدمتهم الأقرب فالأقرب، ولذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على توثيق هذه الصلات، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله وصلوا أرحامكم"[3]

فصلة الرحم من الأمور التي حث عليها الدين الحنيف ورغب فيها، وتشمل أموراً معنوية وأخرى مادية، فالمادية مثل: الإحسان إليهم بالمال، والمعنوية مثل: تعهدهم بالتربية، وتوجيههم إلى أمور الدين الحنيف والأخلاق الفاضلة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونصحهم بالطرق المجدية والأساليب الحسنة، فإن ذلك من أهم المهمات أن يوجههم إلى الخير، وهذا أعظم من صلتهم بالمال إن كان يصلهم بالمال، لأن توجيههم إلى

---

(1) صفوة التفاسير (١٣٩/٢).

(2) صحيح البخاري كتاب الأدب من أحق الناس بحسن الصحبة، حديث (٥٩٧١)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب الوالدين، حديث (٢٥٣٨).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦) صلة الأرحام (٣٣٠/١٠)، حديث: (٧٥٧٧)، والإمام أحمد في مسنده، (١٧٠/٢٦)، حديث (١٦٢٣٢)، ومسلم، (١٥)، كتاب البر والصلة والآداب، (١٧)، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤)، حديث: (٢٥٨٦)، وينظر: تفسير القرآن العظيم (١٦٦/٦)، وجامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/٢٠).

الخير ينفعهم في الدنيا والآخرة، وذلك في حال أن يكون أولئك الأقارب على انحراف وضلال وفساد، ويخشى المسلم على نفسه أن ينساق وراءهم أو يتأخر عنهم، دون تأثير منهم عليه، وصدق الله تعالى حيث قال في محكم تنزيله: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} (الشعراء:٢١٠)

ثالثاً: الهدايات التفسيرية المستفادة من القراءات القرآنية في آيات بر الوالدين:

أفادت قراءة (يبلغان) أن حكم الإحسان إلى الوالدين وحسن الأدب في القول والفعل معهماً ليس باجتماعهما فقط، بل باجتماعهما وافتراقهما على السواء، وذلك بأن يدرك أحدهما دون الآخر.

يقول طاهر ابن عاشور: وقرأ حمزة والكسائي وخلف (يبلغان) بألف التثنية ونون مشددة، والضمير فاعل عائد على الوالدين في قوله: (وبالوالدين إحساناً) فيكون (أحدهما أو كلاهما) بدلاً من ألف المثنى تنبيهاً على أنه ليس الحكم لاجتماعهما فقط، بل هو للحالتين على التوزيع[1].

ويقول الإمام أبو السعود: وقرئ (يبلغان) فأحدهما بدل من ضمير التثنية، و(كلاهما) عطف عليه، ولا سبيل إلى جعل (كلاهما) تأكيداً للضمير، وتوحيد ضمير الخطاب في (عندك) وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع؛ للاحتراز عن التباس المراد، فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما، ولو قوبل الجمع بالجمع أو التثنية لم يحصل على هذا المرام[2].

وأفادت قراءة (إما يبلغن) أنه إن يبلغ أحد الوالدين عندك الكبر فأحسن إليه.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٦٩).

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/٢١٢).

قال الإمام الطبري: قراءة من قرأ (إما يبلغن) على التوحيد؛ على أنه خبر عن أحدهما، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان بالوالدين قد تناهى عند قوله: (وبالوالدين إحساناً)، ثم ابتدأ قوله: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) (١).

وأفادت قراءة (أف) بالفتح: أن أي تضجر معروف -ولو كان بسيطاً- منهيٌ عنه كذلك، وأفادت قراءة (أفٌ) خفضاً بدون تنوين: أن مجرد إطلاق أي قدر -ولو بسيط جداً- من التذمر غير المتعارف عليه منهيٌ عنه، ومخالفٌ لبر الوالدين.

وأفادت قراءة (أفٌ): أن أي تذمر غير متعارف عليه وأقل سهولة في التلفظ به، هو منهيٌ عنه كذلك.

قال القرطبي: وقرئ (أفٌ) منون مخفوض كما تخفض الأصوات وتنون تقول: صه ومه(٢).

نستخلص من ذلك من خلال القراءات في الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمر ببرِّ الوالدين سواء أدرك الإنسان أحدهما أو كليهما، وذلك بألا تصدر منه ما يدل على التضجر ولو بأوجز حركة أو لفظة، متعارف عليها أو غير متعارف، بصوت أو بدون صوت.

بالإضافة إلى الهدايات التي ذكرناها والواردة في الحث على برّ الوالدين والوصية بالإحسان إليهما قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾(الأحقاف:١٥).

قرأ الكوفيون (إحساناً) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها إتباعا لمصاحفهم، وقرأ الباقون (حسناً) بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن (١٥/٤٧).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/٥٧٩).

ألف وكذلك في مصاحفهم(١) وهو مصدر من حسن[٢] يحسن حسناً، والحسن خلاف القبح.(٣)

قال بعض النحويين: الاختيار (حسناً) لاتفاقهم على قوله في العنكبوت: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[العنكبوت:٨] (٤) قال في الحجة: والإحْسان خلاف الإساءة، والحُسن خلاف القبح، فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر، وذلك أن معنى قوله: {ووصينا الإنسان بوالديه}، أمرناه بالإحسان أي: ليأتي الإحسان إليهما دون الإساءة، ومن قال حُسْناً فمعناه: ليأت في أمرهما أمراً ذا حسن أي: ليأت الحسن في أمرهما دون القبح،(٤) والمتدبر في توجيه المفسّرين واللغويين للقراءتين يجد أن قراءة (إحساناً) فيها توجيه للأبناء بأن إحسانهم للوالدين ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى مبرّءاً من أدنى إساءة -حتى ولو بأقل الكلمات أو أي شكل من أشكال الإساءة- لأن صفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاته دون غيره.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ فأقل كلام فيه قبح ينافي الإحسان إلى الوالدين.

ويزكي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ وقوله جل في علاه: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فهذه ثلاثة أوامر إلهية توجب على الأبناء أن يكون البر صادراً منهم في غاية الحسن والكمال؛ استجابة لهذه الأوامر التي فرضها الله عليهم.

وقوله تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾[الأحقاف:١٥].

---

(١) ينظر: المقنع (ص٥٥٦)، النشر في القراءات العشر (٣٧٢/٢)، إتحاف فضلاء العشر(ص٥٠٣).

(٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص٣٢٦)، الحجة للقراء السبع (١٨٣/٦).

(٣) ينظر: إعراب القرآن، القراءات السبع وعللها (٣١٦/٢).

(٤) ينظر: الحجة في علل القراءات السبع (١٧٣٨/٣-١٧٣٩).

قرأ أبو عمرو وهشام عن ابن عامر ونافع وابن كثير، بالفتح (كَرها)، وقرأ الباقون بضم الكاف (كُرها)، والكَره بالفتح لما كرهته، أو المشقة التي تنال الإنسان من خارج، فيما يحمل عليه بإكراه، والكُره بالضم هو: ما استكرهت عليه أو شق عليك، أو ما يناله من ذاته، وهو يعافه.

فالكُره ما أكرهت نفسك عليه أو الكَره ما أكرهك غيرك عليه، تقول: جئتك كُرْها، وأدخلتني كَرهاً، وقيل: هما لغتان بمعنى، مثل الضُعف والضَعف (١)

والمتدبر في توجيه القراءتين يجد أن قراءة الضم تشير إلى أن أمر الحمل فيه مشقة على الأم نابعة من ذاتها بما تقاسيه من أوجاع الحمل وآلامه، وما يصحبه من نفور أثناء الحمل، فهذه القراءة فيها إشارة خفيّة إلى ما تعانيه الأمّ من شدّة وثقل، وأما قراءة الفتح فإنّ الهداية المستفادة منها أن الأمّ لا تنفر من الحمل ذاته لأنه شيء محبب إليها، فغريزة الأمومة طبيعة مركوزه في جبلتها، ولكن المشقة تأتي من عوامل خارجية تنتاب المرأة أثناء الحمل من تقلب صحتها بين الألم والضعف وما تكابده الوالدة من التعب والمشقة هذه المدة المتطاولة التي تنتهي بالولادة، ولذلك جاءت الوصايا الكثيرة بالإحسان والعناية بالأمّ ورعايتها، ذلك على اختلاف القراءات وقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ [الأحقاف:١٥].

قرأ يعقوب "وفَصْلُهُ بغير ألف مفتوحة الفاء وقرأ الباقون وفِصَالُهُ(٢) بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعده، أي: فاصلته أنه فصالاً ومفاصلة، من فصله فصلاً وفصالاً، وهذا الفعل من اثنين؛ لأن المرأة والصبي كل واحد منهما ينفصل من صاحبه، وإن كان قد يقال: فصله فصلاً وفصالاً.

---

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص١٢٢)، الحجة للقراء السبعة (١٤٤/٣)، المفردات في غريب القرآن (ص٧٠٧).

(٢) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها (ص١١٧٥).

وقيل: الفصال: لفظ يستعمل في الرضاع خاصة، وأما الفصل فهو أعم منه، لأنه يستعمل في الرضاع وغيره، وقيل: هما بمعنى واحد (١)

والمتدبر في توجيه القراءتين يتبيّن له أنهما متقاربتان في المعنى، ولكن فيهما هداية إلى العناية بالوليد وإرضاعه وأن مدة حمله وفطامه تستغرق ثلاثين شهراً.

وقد وضحت الآية:[٢٣٣] في سورة البقرة أن مدة الإرضاع حولين كاملين وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ وفي القراءة توجيه على العناية بالطفل بعد ولادته وتنبيه له بعد تكليفه بمدى ما بذلته الأم تجاهه وهو جنين ورضيع، فعليه أن يقابل ذلك البر والإحسان بشكر الوالدين بعد شكر الله تعالى، وقد أشار سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢) [لقمان:١٤].

المطلب الثالث

الهدايات المستنبطة من القراءات المتواترة في آيات بر الوالدين غير المسلمين

تمهيد:

قد أوجب الإسلام على أتباعه بر الأبوين، والإحسان إليهما ولو كانا مشركين، وحق البر مع غير المسلمين يتمثل في الدعاء لهم بالخير والرشد والهدى، ودعوتهم إلى ما فيه سعادتهم وكرامتهم في الدنيا والآخرة، وقد تجلى هذا الخلق الكريم والوصف الجليل في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء ذكره في الكتاب المبين: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف: ٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١١٣/٢٢)، إعراب القرآن (١٠٩/٤).

(٢) ينظر: الدرر الناشرة في توجيه القراءات المتواترة (ص٣٦٥).

وجاء في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي))[1].

فحرص النبي صلى الله عليه وسلم على بر والدته بعد موتها دليل قاطع على استحسان البر بالوالدين حتى حال كفرهما.

الآيات الواردة في بر الوالدين غير المسلمين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت:٨].

الآية الثانية: قوله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(لقمان: ١٥).

التفسير والمعنى الإجمالي للآية الكريمة:

قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[2] نزلت في سعد بن أبي وقاص؛ فقد آلت أمه أن لا تطعم ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، وقيل في عياش بن أبي ربيعة أسلم وهاجر مع عمر وكانت أمه شديدة الحب له، وحلفت على مثل ذلك، فتحيل عليه أبو جهل وأخوه الحارث، فشداه وثاقاً حين خرج معهما من المدينة إلى أمه قصداً ليراها، وجلده كل منهما مائة

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه حديث (١٠٥/٩٧٦)، سنن النسائي، الجنائز، حديث: (٢٠٣٤)، سنن أبي داود، الجنائز، حديث: (٣٢٣٤)، سنن ابن ماجه، الجنائز، حديث: (١٥٧٢)، مسند أحمد بن حنبل (٩٦٨٨).

(2) ينظر: جامع الترمذي، كتاب الأدب من باب قول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾، (٨٧/٣)، حديث (٢٥٤٩).

جلدة، ورداه إلى أمه فقالت: لا يزال في عذاب حتى يكفر بمحمد، في حديث طويل ذكر في السير.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ أي أمرناه بتعهدهما ومراعاتهما، وانتصب ﴿ حُسْنًا ﴾على أنه مصدر وصف به مصدر (وصينا) أي: إيصاء حسناً أي: ذا حسن أو على سبيل المبالغة، أي: هو في ذاته.

فنزلت الآية تطمئن سعداً في ذلك قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان:١٥] وإن شاءوا أن يأكلوا ويشربوا ليعيشوا أو يموتوا فهذا أمر آخر، ولكن لا تشرك بي ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾فتكون المصاحبة بالمعروف، وعدم الطاعة في معصية الله سبحانه وتعالى، فإذا أمراك بالبعد عن الله سبحانه وبترك دينه فاحذر من ذلك، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[1].

ولذلك يقول العلماء: جملة هذا الباب: أن طاعة الأبوين لا تراعى في معصية رب العالمين سبحانه وتعالى، لا في كبيرة ولا في ترك فريضة من الفرائض، وإنما يطيع الابن أباه وأمه في طاعة الله سبحانه وفي المباح، وأما في ترك فرائض الله عز وجل فلا طاعة لأحد في ذلك، فالكفار الذين لا يحصل منهم أذىً للمسلمين أو في معاملتهم مصلحة للمسلمين فهؤلاء يكافؤون؛ لأن دين الإسلام دين العدالة والوفاء فيبرون ويقسط إليهم بأمر الله سبحانه وتعالى، وكذا الوالدان إذا كانا كافرين فإن على الولد أن يبرهما معروفاً لكي لا يسقط حقهما، لكن لا يتبعهما على دين الكفر، حق البر بهما عن الولد ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه المغازي، حديث (٤٣٤٠)، صحيح مسلم، الإمارة، حديث (١٨٤٠) سنن النسائي، البيعة، حديث: (٤٢٥٠)، سنن أبي داود، الجهاد، حديث: (٢٦٢٥)، مسند أحمد بن حنبل (١/١٣٠)،(٥/٦٦).

بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان: ١٤-١٥] فيعاملها ولدها بالإحسان، جاءت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق إليها في المدينة وهي كافرة تطلب منها المساعدة والإعانة فتوقفت أسماء رضى الله عنها حتى سألت النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إن أمي قدمت وهي راغبة -يعني محتاجة- أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك؟ فأمرها النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تصلها، ففي هذا دليل على أن الإحسان للوالدين مؤكّد ولو كانا على غير الإسلام.

ثالثاً: بيان الهدايات التفسيرية المستفادة من آيات بر الوالدين غير المسلمين:

يقول الإمام الطبري: "وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك"، وقوله: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ وإن جاهدك أيها الإنسان، والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوّا كبيرا، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه، فيما بينك وبين ربك ولا إثم[1].

وقال الزجاج: "جاء في التفسير (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) ضَعْفاً على ضَعْف، أي لَزِمَهَا لحملها إياه أن ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرة، وموضع " أَنْ " نَصْبٌ بـ (وَصَّيْنَا)، المعنى وصَّينا الإنسان أن اشْكُرْه لي ولوالديك، أيْ وَصَّيْنَاه بشكرنا وَبِشُكْرِ والديه[2].

وقال البغوي: "قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين"، (وصاحبهما في

---

(1) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢٠/١٣٥-١٣٦).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/١٩٦).

الدنيا معروفا)، أي بالمعروف، وهو البر والصلة والعشرة الجميلة، واتبع سبيل من أناب إلي، أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه( ).

الخاتمة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى.

فأحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث المتواضع، والذي أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في عرضه وجمعه وهديت فيه للصواب، ولقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أهم النتائج التالية:

١-أنّ علم الهدايات من أنفع العلوم وأجلّها؛ كون الهدايات توضح مقصد آيات القرآن وهدفه؛ لذا كانت الحاجة إلى توضيح الهدايات القرآنية ودراسة أثر اختلاف القراءات فيها، لأنّ الهداية يكتمل فهمها بوجوه القراءات المتعددة.

٢-أن الباحث في الهدايات القرآنية يجب عليه أن يحيط بوجوه القراءات المختلفة وأن يمعن نظره في دلالة كل قراءة؛ لأن الهدايات لا تكتمل إلا بمعرفة أوجه القراءات.

٣-أن برّ الوالدين (المسلمين وغير المسلمين) من محاسن الدين الإسلامي، فالإسلام دين البرّ والرحمة والإحسان، فهو يأمر بالصلة وينهي عن القطيعة مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متآلفة متراحمة.

وأخيراً: الحمد الله الذي أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع وله المنة أولاً وآخراً قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[القصص: ٧٠]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

() ينظر: تفسير البغوي (٥٨٨/٣).